حيـــاة الرافعى

تقرير ونقد

للأستاذ أبو الفتوح رضوان

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وفى ص ٥٧ نكتة من الأسلوب أظنها تريد أن تلقى فى ذهن القارئ أن الرافعى ترك الشعر إلى النثر لأنه عجز عن الصياغة الشعرية . يقول المؤلف : « فما أراه كان يقول ذلك — يعنى قيود الشعر — إلا تعبيراً عن معنى تأبى كبرياؤه الأدبية أن يصرح به ، وفى رأيى أن الرافعى لم يقصر فى مضمار الصياغة الشعرية وإنما كان تركه الشعر نتيجة لما تصدى له من فنون الأدب . فالشعر لا يتسع لأكثر من الخواطر السريعة والخلجات النفسية القصيرة ، على حين قصد الرافعى إلى الفلسفة والتطرق إلى بواطن المشاعر والوجدانات ، ولو أنه نظم فلسفته فى الجمال والحب لما استساغ ذلك إنسان ، وفى رسائل الأحزان وأوراق الورد شعر جيد قد لا يتفق لغيره ممن اشتهروا بالشعر دونه . فأداة الرافعى فى الشعر لم تكن عاجزة ولا قاصرة . ولكن تدفق عاطفته وغزارة خواطره وعمق فلسفته هى المسئولة عن هجره الشعر . ثم ألم يكن من الخير للعربية أن يتجه الرافعى إلى النثر ؟

ويرد المؤلف (ص ٦٧) تقديم شوقى لنشيده بعد أن طلبه إليه ذلك وإحجام حافظ ، إلى إباء فى طبع هذا وحرص فى طبع ذاك على أن يقال فى كل مناسبة قال شوقى . ولو كان الأمر كذلك لقدم شوقى نشيده من أول الأمر . والحق أنه استكبر أن يتقدم فى مسابقة مع صغار الشعراء ، وأنف من أن يضع شعره موضع الامتحان ؛ فلما وعد بأن نشيده هو الفائز تقدم به ، أما حافظ فكان عضواً فى اللجنة ، وعلى ذلك فهو يعرف اتجاهها

والدليل على ذلك قول الجاحظ : « وكان يقول » ولو كان قد قالها مرة واحدة كما ظن الشارحان لقال : « وقال مرة » فتكون ملاحظتهما جائزة

فبان أن الخروج عن مقتضى الظاهر لم يكن من الجاحظ وإنما كان من الشارحين

ص ١١٥ يروى الجاحظ قصته فيقول :

« وكنا عند داود بن أبى داود بواسط أيام ولايته كَشْكر فأتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس فقسمها بيننا ، فكل ما أخذ منها الحزامى أعطى غيره » . فيضبط الشارحان كلمته كل بالضم ويعلقان على الجملة بقولهما : « أى الجميع الذى أخذه الحزامى من هذه الزقاق فرقه على أصدقائه . فمفعول أعطى الثانى محذوف »

وهذا الضبط خطأ ويتبعه خطأ الإعراب أيضاً ، والواجب ضبط الكلمة بالفتح فتكون مفعولاً ثانياً مقدما لأعطى . والقاعدة أن الفعل إذا كان يطلب مفعولا فما دام فى حيزه ولا مانع من وصوله إليه لم يجز منعه عن العمل فيه . وعلى هذا يكون تقدير الجملة أعطى الحزامى غيره كل ما أخذ من الزقاق

(ملاحظة) : سنراعى جانب الإيجاز البالغ فيما بقى من المآخذ على الكتاب . وربما انتهينا من ذلك فى مقال أو اثنين لأننا نعتقد أن على الرسالة حقاً لقرائها فى تنويع القول وتلك هى سنتها معهم

محمود مصطفى

نحو نشيد شوقي فلم يتقدم خطفاً لكرامته

وخرج المؤلف من فصل « شيوخه في الأدب » بالنتيجة الصحيحة التي لا يتطرق إليها الباطل ، من أنه ليس للرافعي في الأدب شيوخ ، وإنما هو فريد في فنه وفي أسلوبه ، وإنه في ذلك مبتكر لم ينسج على منوال أحد . ولكن ما دام الأستاذ قد حاول أن يصل إلى بعض من أثروا في أسلوبه ، ألا يجد شيئاً من ذلك في حبيبته « فلانة » . ثم ألا يجد الأستاذ بعض الدليل على ذلك بالموازنة بين أسلوبه وبين أسلوبها في كتابها الذي نشر قبل رسائل الأحزان بقليل ؟ ثم ألا يكون ليلها إلى المعاني البكر والديباجة الشرقية بعض ما وجهه في فنه البياني هذا الاتجاه ؟

في ص ١٤١ يقول المؤلف إنه لما غضب الايراشي باشا من الرافعي نشر قصيدته في مدح جلالة الملك فؤاد جنباً إلى جنب مع قصيدة « الأستاذ عبد الله عفيفي المحرر العربي بديوان جلالة الملك » . والصواب أن الأستاذ عبد الله عفيفي لم يلحق بخدمة جلالة الملك إلا بعد هذا التاريخ ، وإنه كان حينئذ يشتغل بالتدريس، وظل يشتغل به إلى ما بعد نشر مقالات على السفود في نقد قصائده.

وحاول المؤلف عند الكلام عن نسخة الرافعي الخاصة من كتاب « كليلة ودمنة » أن يعدد ما كتبه الرافعي من هذه الفصول، فعد ثمانية فصول في كتاب « تحت راية القرآن » . ثم قال إنه أهمل هذه النسخة الخاصة من كليلة ودمنة إلى سنة ١٩٣٣ عندما دارت المعركة حول «وحي الأربعين» . فنشر الفصل التاسع وهو « الثور والجزار والسكين » . والصواب أن الرافعي عاد إلى تلك النسخة قبل ذلك بكثير ، فقد نقل عنها فصلين على ما أذكر في « على السفود » . وقد كتبت هذه المقالات في سنة ١٩٢٩ . وجاء فيها حكاية (حبة القمح وحجر الطاحون) ؛ وحكاية اليعسوبة والمنطاد (زبلن) . وعلى ذلك فهما الفصلان التاسع والعاشر من كليلة ودمنة الرافعي . ثم عاد الرافعي إلى هذه النسخة ثانية عند ما كتب « أوراق الورد » الذي تم طبعه في ١٩٣١ ، ففي ص ٢٢٩ و ٢٣٠ من هذا الكتاب حكاية « الغزال والأسد » وهي الفصل الحادي عشر من نسخة الرافعي من كليلة ودمنة ؛ وهي حكاية طريفة أدارها على بعض ما كان بينه وبين حبيبته فلانة ، وأشار في هامش الكتاب إلى أنها فصل من كليلة ودمنة ووعد بإتمام فصول الكتاب . وعلى ذلك تكون حكاية « الثور والجزار والسكين » هي الفصل الثاني عشر لا التاسع من كليلة ودمنة الجديد

هذه ملاحظات عنت لي في أثناء قراءة الكتاب ، وهي لا تنقص شيئاً من قيمته التي قدمت من خبرها في صدر المقال . ولا أختم كلمتي قبل أن أهنئ الأستاذ سعيداً على توفيقه في هذا الكتاب الفذ . وقبل أن أنوه بتلك الفصول القيمة التي كتبها عن « رسائل الأحزان » و « السحاب الأحمر » و « أوراق الورد »، وهي فصول لم يكتب على منوالها في التعريف بالكتب . وأظن القارئ في حاجة إلى أن يعيد قراءة هذه الكتب على ضوء تحليل الأستاذ سعيد لها كان قد أطال فيها النظر والدرس قبل ذلك

أبو الفتوح رضوان

اطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتاب
الإسلام الصحيح
من مكتبة الوفد ، شارع الملكة نازلي بالفجالة
ومن المكتبات العربية المشهورة

ليس مبالغة أو إسراف
بل إن قوة السفور هي ١٠٠ ٪
ووفر الاستهلاك ٥٠ ٪
هذه هي مزايا لمبة
سولار نصف واط
تباع في كل مكان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع البرلس — عابدين)